في العمل المعلل فان العمل اذا علل ربما اقامت العبد اليه حكمة تلك العلة واذا لم يعلل لا يقيمه الى
ذلك العمل الا العبادة المحضة واعلم ان العبادة حال ذاتي للانسان لا يصح ان يكون لها آخر مخلوق
لانها ليست بمخلوقة فالاعيان من كل ما سوى الله مخلوقة موجودة حادثة والعبادة فيها ليست بمخلوقة
فانها لهذه الاعيان اعني اعيان العالم في حال عدمه وفي حال وجوده وبها صح له ان يقبل امر الله بالتكوين
من غير تثبط بل اخبر الله تعالى انه يقول له كن فيكون فحكم العبادة للممكن في حال عدمه
امكن فيه منها في حال وجوده واستحكام رايه ونظره لنفسه واستقلاله من دعوى في سيادة بوجه ما
ولو كان ما كان فينقص له من حكم عبادته بقدر ما ادعاه من السيادة فلذلك قلنا ان حكم العبادة
للممكن امكن فيه في حال عدمه منها في حال وجوده فمن استصحبته فقد استصحبه الشهود دنيا وآخرة
ونعته اذا كانت هذه حالته انه لا يفرح بشي ولا يحزن لشي ولا يضحك ولا يبكي ولا يقيده وصف
ولا يميزه نعت وجودي فلا رسم له ولا وصف قال ابو يزيد في هذا المقام ضحكت زمانا وبكيت زمانا وانا اليوم
لا اضحك ولا ابكي وقال في هذا المقام لما قيل له كيف اصبحت فقال لا صباح لي ولا مساء انما الصباح
والمساء لمن تقيد بالصفة وانا لا صفة لي فوصف نفسه بالاطلاق ولا يصح الاطلاق الا في العبادة
خاصة ومن كان له الاطلاق فلا يتقيد اجره ولا يتعين وانما صاحبها في شانه كما ان الحق في شانه
فجزاء الاطلاق الاطلاق سال جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله
وما ذكر العمل وانما ذكر العبادة وقال الله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فهو قولنا ما جزاء
الاطلاق الا الاطلاق والاجور مقيدة من عشر الى سبعمائة ضعف لانه اجور اعمال معينة مشابهة
الزمان فلا بد ان تتقيد اجرها بالعدد ولو كان جزافا فانه مقيد بالعدد عند الله كالصابر يوفى
اجره بغير حساب معين بغير حساب معين علمه عندنا وعند الله مقيد بقدر معلوم لان الصبر
يعم جميع الاعمال لانه حبس النفس على الاعمال المشروعة فلهذا لم ياخذه المقدار والاعمال تاخذها
المقادير فعلى قدر ما يقام فيه المكلف من الاعمال الى حين موته وهو يحبس نفسه عليها حتى
يصح له حال الصبر واسم الصابر فيكون اجره غير معلوم ولا مقدر عنده جملة واحدة وان كان
معلوما عند الله كالمجازفة في البيع من غير كيل في المكيل ولا وزن في الموزون وفارق الصبر العبادة
بان العبادة له في حال عدمه وعدم تكليفه والصبر لا يكون له في حال عدمه ولا في حال عدم تكليفه

فالعبادة

فالعبادة لا تبرح معه دنيا ولا آخرة فاذا كان مشهده عبادته في حال ارتقائه ونزل الحق اليه
كما وصف الحق نفسه بالنزول فوقع الاجتماع وهو المنازلة فمن حيث ان العبد ذو عمل من الاعمال
لانه لا بد ان يكون في عمل مشروع صالح وهو الذي يصعد به فانه براقه لانه محمول فيتلقاه من
الله من حيث ذلك العمل بالبر الذي عينه الله لمن جاء به وهو مقدار معلوم ثم ان الحق ينظر
في هذا المكلف فيراه مع كونه في عمله غير مشهود له ذلك العمل لعلمه بان الله هو العامل
به لا هو وانه محل لخلق العمل به كالآلة لوجود ذلك العمل فيكون الحق يعطي استحقاق ذلك العامل
من حيث ما وعد به فيه وينظر ما مشهد ذلك الشخص فيجده في عبادته التي لم يزل عليها في حال
عدمه فما ثم جزاء في مقابلتها الا ان لا يرزقه الغفلة عنها في زمان خلق الغفلات في المكلفين
ما ثم الا هذا وهو الذي قلنا في الممكن في حال وجوده انه لا بد من حكم سيادة تظهر منه لانه في
زمان حكم الغفلات فالعناية بهذا العبد في هذه المنازلة رفع الغفلة عن العبادة في كل حال
فهذه هي الزيادة في قوله للذين احسنوا بالاعمال الحسنى بما لهم من الاجور بل بما للاعمال من الاجور
فانها تعينها للعامل وزيادة هو ما ذكرناه في حق صاحب العبادة فانه لا يرزق الغفلة في وقت العمل
عن من هو العامل فيرى ان العامل هو الله وليس يعود الاجر الذي يطلبه العمل الا على العامل فالعامل
عنده انما هو الله فاجرته لو كان ممن يقبل الاجور على قدره فيحصل للمكلف الذي هو الآلة القابل للاجور
اجر من لو قبل الله الاجر كيف يكون اجره هل كان يكون الا على قدره وان تبدد العمل فاين اجر هذا
المكلف بهذا الشهود من اجر من يرى في عمله ان المكلف هو العامل لا الحق فيكون اجره على قدر
هذا المكلف فلا يحصل له سوى اجر العمل خاصة لا على قدر اجر العامل لان العامل عنده عينه ولا قدر
له ولولا ظهوره واتصافه بطاعة ربه في عمله لم يكن له قدر من نفسه ولهذا ترى مال المخالف الى ما يكون
فلو كان له قدر في نفس الامر لسعد بحكم قدره وانما يسعد برحمة الله ولم تتفاضل سعاداتهم لو كان
لهم قدر يستحقون به السعادة ولا نشك انهم في السعادة متفاضلون كما انهم في الاعمال متفاضلون
من حال وزمان ومكان وعين عمل ودايم واجتماع وانفراد الى غير ذلك مما يقع به التفاضل فعلمنا انه ما
ثم جزاء لقدر فعلمنا ان الانسان من حيث عينه لا قدر له الا بطاعة ربه وقدر عمله ثم ان الحق
بعد هذا النظر وتعيين الجزاء كما قررناه ينظر في شهود هذا المكلف فيراه ذا عبادة والعمل تابع لها فيه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)